مفردات علماء البلاد الليبية اللغوية

محمد سيدي الزروق الأنصاري
كلية اللغات ـ جامعة الجفارة

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية: علماء، اللغوية، ابن الاجدابي، لسان العرب.

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه مشاركتي في المؤتمر العلمي الدولي جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة، الذي تنظمه الأكاديمية الليبية فرع مصراتة، ضمن محور جهود علماء ليبيا في علوم الآلة، ببحث عنوانه (مفردات علماء البلاد الليبية اللغوية)، أقصرتُ فيه الحديث عن المصنفات التي تفرّد بها علماء ليبيا الكرام في مختلف فنون علوم الآلة اللغوية، بتناول كفاية المتحفظ لابن الأجدابي، ولسان العرب لابن منظور، وترتيب القاموس المحيط ومختاره للزاوي، ومتممة الأجرومية للحطاب، حسب ما سمح به المقال والمقام، افتتحته بتنويه بإسهامات علماء البلاد الليبية في مسيرة العلوم خاصة اللغوية والشرعية من لدن تشرف البلاد بتلاميذ مالك بن أنس رضي الله عنه إمام دار الهجرة النبوية إلى يوم الناس هذا، تلاه شذرة عن معنى المفردات لغة واصطلاحا، ثم شروع في ذكر بعض ما تفرد به علماء البلاد في علوم اللغة، مرتبا إياه حسب تأريخ وفاتهم، منوعا في تناول كل عَلَمٍ ومصنفه الفريد بين الإيجاز والتوسط والإطناب، وغرضي من ذلك التنويه والتقريب والإشادة، والتعريف ببعض ما حفلت به البلاد من مصنفات سارت بذكرها الركبان، وعلا صيتها بين أهل الشأن، محاولا بذلك إبراز ما علاه الغبار، وصار طي النسيان والأسرار، في فنون اللغة العربية، من نحو، ومتن لغة، ومعاجم، وختمت ذلك في وصف بعض ما بدا لي بعد استقراءٍ، لا شك عندي أنه ناقص، مستعملا المنهجين الوصفي والتاريخي في بيان المقصود، معتمدا على ما وقع بين يدي من هذه التآليف الفريدة في فنها وموضوعاتها، مستعينا بما حوته كتب اللغة وتراجم الأئمة الأعلام، حاثا في نهايته البحاث ورواد العلم على التنقيب عن مآثر البلاد العلمية؛ لما تمثله من رافد معرفي وعلمي تُباهي به غيرها من الأمصار والأقطار، موصيا مراكز العلم ومعاهده في الجامعات وغيرها إلى استنهاض الهمم والقِمم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين

Post summary

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful. Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon our master Muhammad and upon his family and all his companions and those who follow them in righteousness until the Day of Judgment.

As for what follows, this is my participation in the international scientific conference on the efforts of Libyan scholars in the service of Sharia sciences, which is organized by the Libyan Academy, Misrata branch, within the axis of the efforts of Libyan scholars in machine sciences, with a research entitled (The Linguistic Vocabulary of Scholars of the Libyan Countries), in which I limited my talk about the works that are unique to them. Honorable Libyan scholars in the various arts of linguistic machine sciences, by addressing the Kifayat al-Muhtadhiz by Ibn al-Ajdabi, Lisan al-Arab by Ibn Manzur, the arrangement of the surrounding dictionary and its selection by al-Zawi, and the completion of al-Ajurumiyyah by al-Hattab, as permitted by the article and the position. I opened it by noting the contributions of the scholars of the Libyan countries in the process of sciences, especially linguistics and Sharia. From the time when the country is honored by the students of Malik bin Anas, may God be pleased with him, the imam of the Prophet's House of Hijrah until this day of people, he followed him with a snippet on the meaning of vocabulary words linguistically and idiomatically, then he began to mention some of what the country's scholars were unique in the sciences of language, arranging them according to the date of their death, and varied in He dealt with each science and its unique work, between brevity,

mediocrity, and redundancy. My purpose in doing so was to point out, approximate, and praise, and to introduce some of the works that the country was full of that were mentioned in Rukban, and whose reputation rose among the people of the matter, trying thus to highlight what has become dusty, and has become forgotten and secrets, in the arts of language. Arabic, from grammar, language text, and dictionaries, and I concluded by describing some of what seemed to me after extrapolation, which I have no doubt is incomplete, using the descriptive and historical approaches in explaining what is intended, relying on what I came across of these unique compositions in their art and topics, using With what it contained in language books and biographies of eminent imams, at the end it urged researchers and pioneers of science to explore the country's scientific exploits. Because it represents a source of knowledge and science that other regions and countries boast about, recommending science centers and institutes in universities and elsewhere to mobilize aspirations and peaks.
Our last supplication is: Praise be to God, Lord of the worlds, and may blessings and peace be upon our Master Muhammad, who was sent as a mercy to the worlds.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد فيسرني أن أشارك في المؤتمر العلمي الدولي جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة، الذي تنظمه الأكاديمية الليبية فرع مصراتة، ضمن محور جهود علماء ليبيا في علوم الآلة، ببحث عنوانه (مفردات علماء البلاد الليبية اللغوية)، أقصر فيه الحديث عن المصنفات التي تفرّد بها علماء ليبيا الكرام في مختلف فنون علوم الآلة اللغوية، ككفاية المتحفظ لابن الأجدابي، ولسان العرب لابن منظور، وترتيب القاموس المحيط ومختاره للزاوي، ومتممة الأجرومية للحطاب، وغيرها حسب ما يسمح به المقال والمقام، في مقدمة عن المفردات لغة واصطلاحا، وعن إسهامات علماء البلاد الليبية في مسيرة العلوم خاصة اللغوية والشرعية من لدن تشرف البلاد بتلاميذ مالك بن أنس رضي الله عنه إمام دار الهجرة النبوية إلى يوم الناس هذا، في ركب مبارك، ومبحث يتناول المفردات اللغوية الليبية في مطالب، فخاتمة وتوصيات، وفهرس لمصادر البحث ومراجعه.

إشكالية البحث: محاولة إبراز المصنفات التي تفرد علماء ليبيا بها دون بقية البلدان في فنون اللغة العربية

سؤال البحث: ما العناوين التي تفرد الليبيون بها في علوم اللغة؟

منهجية البحث: المنهج الاستقرائي والوصفي.

مصادر البحث: كتب اللغة والتراجم.

افتتاحية البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

تذخر ليبيا - كغيرها من بلدان العالم الإسلامي - منذ دخول الفاتحين من الصحابة بكثير من أهل العلم في مختلف علوم الشريعة والعربية، غير أن بعضهم يسعد الزمان بذكره، وذكر مآثره العلمية، وبعضهم يندى الجبين بفقد سيرته في ركب الخالدين في العلوم، الوارثين علوم الأولين، السائرين في ظل دوحة الشريعة والعربية.

وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم والرحلات شيئاً من مآثر ليبيا العلمية، من خلال ذكرها لأساطين العلم والعمل في البلاد الليبية، أو ذكر مصنفاتهم الدالة على ارتباط علمائها الأفاضل بالعلوم التي يُعقل بها كتاب الله عزّ وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سواء كانت علوم آلة، أو علوم مقاصد.

وستقتصر الدراسة على ذكر مفردات علماء البلاد الليبية في علوم اللغة، بعد التعريف بأصحابها، من باب قولهم: "أثبت العرش ثم انقش"؛ لاقتضاء البحث ذلك.

معنى المفردات لغة، واصطلاحا

المفردات، جمع (مفردة)، ومادته (ف ر د)، وهي تدل على الوحدة والتفرد، قال ابن فارس في مقاييسه: "الْفَاءُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى وُحْدَةٍ، مِنْ ذَلِكَ الْفَرْدُ وَهُوَ الْوَتْرُ. وَالْفَارِدُ وَالْفَرْدُ: الثَّوْرُ الْمُنْفَرِدُ. وَظَبْيَةٌ فَارِدٌ: انْقَطَعَتْ عَنِ الْقَطِيعِ."[1]، كقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2] ، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3] .

ويتفرع عن المعنى اللغوي معناها الاصطلاحي، فقد قصد به كل أهل فنٍ معنى لا يخرج عن المعنى الاشتقاقي لمادة (ف ر د)

أمثلة لاصطلاح (التفرد) في العلوم

إذا عُلِم هذا فإن اصطلاح (التفرد) معمول به في علوم عدة، **فمثلا في علوم القرآن** إذا قيل: (مفردات القرآن) فالمقصود به ألفاظ القرآن، وكل لفظة منها مفردٌ من جهة كونها لا مثيل لها لغة، وأشهر التصانيف في هذا الفن مفردات القرآن للراغب الأصفهاني' وهو فريد في بابه.

وفي علوم الحديث مثلا: إذا قيل مثلا أفراد البخاري، أو أفراد مسلم، فالمقصود ما تفرد به أحدهما عن الآخر من أحاديث الصحيحين، ونحوه تفرد بقية أصحاب الكتب الستة، أو السبعة، أو التسعة، فما تفرد به ابن ماجه أو الترمذي يراد به التفرد عن بقية أصحاب الكتب الستة، وهلم جرا، في اصطلاحات معلومة عند أهل الحديث.

ويدخل تحت هذا التفرد تفرد علماء البلاد الليبية بتصانيف وعناوين في كتب اللغة اشتهرت في الآفاق والأمصار.

ابن الأجدابي، وكتابه كفاية المتحفظ

هو الإمام الحافظ أبو إسحاق ابراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن الأجدابي نسبة إلى أجدابية، ولد بطرابلس ونشا بها وحضر مجالس العلم والعرفان وصحب مشايخ عصره؛ وكان من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما، وفقها، ونحوا، ولغة، وعروضا، ونظما، ونثرا.

سئل مرة عن علمه وكيف اكتسبه، ولم تكن له رحلة-حيث كان للطلبة في الزمن القديم رحلة إلى أطراف العالم الإسلامي- فأجاب:" اكتسبته من بابي هوارة وزناتة".. وهما بابان من أبواب طرابلس القديمة.. يريد أن ما حصل عليه من العلم إنما كان بلقاء العلماء والشعراء والأدباء القادمين على المدينة من كل صوب، وعرف عنه إكرام وفود الحجاج والاعتناء بهم والقيام بضيافتهم.

وقد أثنى عليه المؤرخون والرحالة ومدحوه، وتحدثوا عن مناقبه كياقوت الحموي، وأحمد النائب، والتجاني..[4]

من مفرداته اللغوية: كفاية المتحفظ

معدود من **معجمات المعاني أو الموضوعات**، وهي المعجمات التي تجمع الألفاظ التي تخص موضوعاً معيناً كالإبل أو الشياه، أو الحشرات أو أسماء السيف وصفاته أو أسماء الخيل وأسماء ألوانها وأصواتها، ومن هذه الكتب: الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكفاية المتحفظ لابن الأجدابي، والمخصص لابن سيده وهو أوسعها.

(1) - ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ف ر د).
(2) سورة الأنبياء: 89.
(3) سورة الأنعام: 94.
(4) ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (1/ 51)، ورحلة التجاني (ص264)، والأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص153)

وقد اعتنى العلماء بكفاية المتحفظ نظما وشرحا[1].

فنظمه ابن الخُوَيِّيّ، وابن المحِب الطبري في (عمدة المتلفظ)، وابن بَرْدِس في (وسيلة المتلفظ) في آخرين.

وشرحه أقوام منهم، العلاء بهاء الدين له: الوافي بالكفاية والعمدة شرح به كفاية المتحفظ،

ومحمد بن مصطفى الرومي الحنفي، الشهير بقره داود زاده، له: شرح كفاية المتحفظ في اللغة.

وأما الشيخ محمد بن الطيب أبوعبد الله الفاسي المغربي الشهير بابن الطيب المالكي ت 1170 فله: تحرير الرواية في شرح الكفاية، وهو أشهر شروح الكفاية.

وصف كفاية المتحفظ في أول شرحه المتداول فقال: "واعتنى بهذا المختصر جمع من الأئمة المقتدى بهم واعتمدوه، وأكثر من النقل عنه الحافظ الثقة أحمد الفيومي في كتابه «المصباح المنير» ، والإمام كمال الدين الدميري في «حياة الحيوان»، وغيرهما، وعدلوه بالمصنفات الكبار، كالصحاح والتهذيب والمجمل ونحوها، وربما اختار كلامه في المصباح عليهم أحيانًا، واعتنى بخدمته الإمام الأديب البارع قاضي الحرم، جمال الدين محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الطبري، فنظمه في نحو ألف وثلاثمائة بيت نظمًا حلوا، على ارتكاب أوهام، وبعد أفهام. ومدحه الفقيه الأديب العلامة جمال الدين علي بن صالح العدوي، فأجاد حيث قال:

من كان يطلب في الغريب وسيلـــــــــــــةً ... من شاعرٍ أو كاتب متلفظ

أو كان يبغي في الكـــــــــــــلام بلاغةً ... فليحفظـــــــن كفاية المتحفظ

وشهرته بين أهل الفن كافية، وإن كانت فيه مواضع تفتقر إلى ضبط، وكذلك تشكل مطالعته على غير المهرة بالفن." [2]

الحطاب، وكتابه متممة الأجرومية

الإمام العلامة، ولد ليلة الثامن عشر من رمضان سنة 902 ه، كان من سادات العلماء، محصلا متقنا محققا للفقه وأصوله ومسائله، مستنبطا لها، يقيس على منصوص غيره، حافظا للحديث وعلومه أخذه عن حفاظه، كابن حجر والسيوطي، والسخاوي، وناهيك بذلك، كان عالما باللغة وغريبها، متبحرا في النحو والصرف، وهو إمام في كل ذلك [3].

يدل على إمامته تآليفه في جميع العلوم التي برع في إتقانها وتحريرها، ورفعت منزلته إلى مصاف فحول العلماء، كابن عبد السلام، وابن عرفة وغيرهما.

أخذ الفقه وغيره عن والده الحطاب الكبير، وعن أحمد بن عبد الغفار ومحمد بن عراق.

وأخذ عنه عبد الرحمن التاجوري، ومحمد الفيش وولده يحيى الحطاب، وغيرهم[4].

قال في المنهل العذب: تُوفي تاسع ربيع الثاني، 954هـ بطرابلس، وضريحه بالثغر مشهور معظم.[5]

ألف الحطاب تآليف حسانًا أجاد فيها ما شاء، تدل على إمامته في جميع العلوم التي برع في إتقانها وتحريرها، ودلت أيضا على سعة اطلاعه وحفظه، ولذا في الأعصر المتأخرة إذا أُطلق "الحطاب" فالمقصود به صاحب مواهب الجليل، ومتممة الآجرومية؛ لما له من مزية فاق بها آل الحطاب جميعا.

(1) ينظر: ابن الخُوَيِّيّ، نظم كفاية المتحفظ (ص27)
(2) ينظر: ابن الطيب الفاسي، شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، (ص39).
(3) ـ التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص150)
(4) ـ التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص150)
(5) ـ الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص197)

متممة الأجرومية

تمم فيها الحطاب بعض مسائل متن الأجرومية[1] الشهير في النحو؛ لما له من أهمية في الولوج إلى علوم اللغة والشريعة اختصر فيها أكثر أبواب الألفية وجعله مقدمة للمطولات، ومتممة للأجرومية؛ لأنها أول المتون العلمية تدريسا بعد حفظ القرآن الكريم في غالب أمصار المسلمين ليوم الناس هذا، وهي مغنية عن الأجرومية وشذور ابن هشام وقطره، وباب إلى ألفية ابن مالك.

تميز الحطاب رحمه الله في متممة الأجرومية بدقة العبارة، وحسن الإيجاز، سار فيها على مشهور مذهب البصريين، وصفها أحمد بابا بـ(المقدمة التي بسط فيها مسائل الأجرومية)[2]، أي وسّع فيها المسائل، واستطرد فيما اقتضبه ابن أجروم.

ابن منظور الأنصاري الإفريقي، وكتابه لسان العرب

محمد بن مكرَّم، بتشديد الراء، ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ثم المصري، القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل، من ولَدِ رُويفع بن ثابت الصحابي رضي الله عنه[3].

اختلف الناس في أصله ومولده؛ لعادتهم في إلحاق كل شريف وفاضل وعالم بهم؛ لأدنى مناسبة، على أنه يمكن للإنسان أن يُنسب لأكثر من موضع، على حسب مراحل حياته، كما هو معروف في كتب التراجم والأخبار.

فنص أحمد بن عبدالرحمن الأنصاري صاحب نفحة النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان[4]، وأحمد بك الأنصاري في المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب[5]، على أن ابن منظور طرابلسي، نزيل مصر بعد، وانتصر الطاهر الزاوي لذلك في أعلام ليبيا[6].

ولعل من شواهد هذا الرأي أن رويفع الأنصاري رضي الله عنه، الذي ينتهي إليه نسبه كان أميرا على طرابلس الغرب أيام معاوية رضي الله عنه [7]، فقد يكون نسله سكنها حتى أيام ابن منظور.

ثم لمّا شبّ رحل إلى حاضرة العالم الإسلامي حينها، القاهرة ومصر، التي ولاه ولاتها قضاء طرابلس مدة، ولكلمة (الإفْرِيقِي ثمَّ الْمصْرِيّ) في ترجمته[8] إشارة لهذا.

ولكل وجهة هو موليها، والمسألة محل بحث، وهي كغيرها من ظنيات العلوم، تتجاذبها الأدلة والنقول والعقول.

قال عنه ابن حجر: "كان مغرى باختصار كتب الأدب المطوّلة، اختصر الأغاني وَالْعقد والذخيرة ونشوار المحاضرة ومفردات ابْن البيطار والتواريخ الْكِبَار"[9]. بل نقل عن الصفدي قوله: "لا أعرف **في الأدب كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره،** وقد أخبرني ولده قطب الدين أنه ترك بخطه خمسمائة مجلدة".

أشهر أعماله وأكبرها **لسان العرب،** جمع فيها أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً؛ لأنه حواها جميعا بدءا بأمهاتها، من العين والتهذيب والأساس والصحاح والمحكم والمخصص، وانتهاء بأجزائها كالإبل والخيل والجبال[10].

(1) ـ التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج(ص593)
(2) ـ التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج (ج2/ص227)، ونيل الابتهاج(ص593)
(3) ـ الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر (5/ 269)
(4) ـ ينظر: الأنصاري، أحمد بن عبدالرحمن، نفحة النسرين (ص125)
(5) ـ ينظر: الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب (ص156)
(6) ـ ينظر: الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا (ص359)
(7) ـ في ابن عبدالبر، أبوعمر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 504): "رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، من بنى مالك ابن النجار. سكن مصر واختط بها دارا. وأمّره معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين..."
(8) ـ ينظر: الصفدي، صلاح الدين، نكت الهميان في نكت العميان (ص 261)، وابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15)
(9) ـ ينظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15)
(10) ـ ينظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (6/ 15)

وهو أشهر معاجم الألفاظ في العربية، وأوسعها، قال عنه الزركلي: "إن مؤلفه: "جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا"[1].

واعتمد عليه الزبيدي في تاج العروس حين شرح القاموس المحيط، واستدرك عليهما في مواضع، إلا أن هذا لا يحط من مكانته، فهو أغزر قواميس العربية، وأحد أمهات كتب اللغة في معاجم الألفاظ.

الشيخ الطاهر أحمد الزاوي، وكتاباه ترتيب القاموس ومختاره

ولد بمدينة الزاوية الغربية سنة 1890، وتلقى مبادئ تعليمه بها، وفي أوائل سنة 1912 رحل إلى الأزهر لإتمام دراسته، فأخذ عن جماعة من العلماء ثم رجع إلى طرابلس سنة 1919، وعاصر حركة الجهاد الليبي، وتوفي يوم الأربعاء (5 – 3 – 1986) بعد مسيرة حافلة بالعطاء الوطني والعلمي، فقد جمع الشيخ الطاهر كأبناء جيله من علماء الأزهر، وفي إطار الحياة الثقافية الثرية بمصر في النصف الأول من القرن العشرين، بين عدة ألوان من التراث العربي الإسلامي.

فاشتغل (موضوعياً) بالتاريخ، واللغة، والفقه، وتوزعت جهوده في هذه الحقول المعرفية بين التأليف، والتحقيق، والترتيب، والاختصار، والتحرير، وانقسمت أعماله إلى شقي التراث العربي الإسلامي، والمكتبة الليبية التي استأثرت بكل آثاره التاريخية، وقد أعطى الشيخ الطاهر كل وقته الذي عاشه في مصر، أي نحو أربعة عقود، للدراسة والكتابة. وكان صبورا لا يكل ولا يمل من التعلم والتعليم والبحث والكتابة، وكان موسوعيا في علمه. [2]

الشيخ الطاهر الزاوي أقدم على عملين جليلين خطيرين، أولاهما: ترتيب القاموس المحيط على نسق أساس البلاغة، وثانيهما: تأليفه مختار القاموس على نسق مختار الصحاح، وكلا العملين لا يُقدم عليهما في عصرنا إلا فريق من المتخصصين المتفرّغين، غير أن الشيخ الطاهر لمّا كان صاحب همة عالية، وبالغ رتبة عليّة تجشّم هذين العملين؛ لما فيهما من تقريب العربية، لغة القرآن إلى عموم الطلاب، وعموم المسلمين في أمصار الأرض، وسيأتي تفصيل عمله في المبحث التالي بإذن الله.

ترتيب القاموس المحيط

يمكن أن نستخلص من كلام الشيخ رحمه الله في مقدمة كتابه ترتيب القاموس المحيط ثلاثة مطالب، الباعث، والمنهج، والإضافات.

من بواعث ترتيبه القاموس

أحدها: أن القاموس المحيط للفيروز آبادي من أصح ما ألف في اللغة العربية نقلا، وأدقها وضعا، وأوسعها مادة، ومن ثَمّ فترتيبه أولى من ترتيب غيره كاللسان والصحاح؛ لما ذكره المؤلف ههنا من كونه من أصح المنقولات اللغوية، وأدقها، وأوسعها، فاستحق بجدارة أن يُتعب المرء نفسه من أجل تقريبه للناس؛ خدمة للغة القرآن، اللغة الخالدة بخلوده.

ثانيها: أن القاموس مع كثرة اشتغال العلماء به شرحا وتحشية وتعليقا ونقدا وتصحيحا ونظما...، إلا أنه لا زال عصيا على طلاب العربية فضلا عمن دونهم في التخصصات الأخرى، إلى أنْ رتبه الشيخ على طريقة الأساس، فجعله طلاب اللغة الأساس.

ثالثها: أنّ صاحب القاموس سلك مسلكا يعسر على غير المتخصصين فهمه في ترتيب مواد قاموسه، قال الشيخ: "لوحظ عليه ـ أي القاموس ـ أن مؤلفه نحا في ترتيبه نحوا جعل من العسير على كثير من طلاب اللغة البحث فيه، والوصول إلى بغيتهم من طريقه.. ذلك أنه اعتمد في ترتيبه على اعتبار الحروف الأصلية للكلمة، وإهمال الحروف الزائدة، وله في ذلك مقدرةٌ مكّنه منها تخصُّصه في علمي اللغة والصرف.."[3]

رابعها: أن ترتيب الأبواب على اعتبار الحرف الأصلي، وإهمال الزائد يتعذر بعضه حتى على طلاب اللغة، فضلا عن غيرهم، والمقصود أن ترتيب الأبواب على أواخر الكلم عسير أصلا على الباحثين، وزاد من عسره اعتبار الحروف الأصلية دون الزائدة، مما لا يفهمه إلا المتخصص في علم الصرف.

(1) ـ الزركلي، الأعلام، ج7/ص108

(2) ـ ينظر https://n9.cl/n3mgf ، https://n9.cl/v9bpeظ ، https://www.alnssabon.com/t33332.html

(3) ـ الزاوي، ترتيب القاموس (3/1)

قال الشيخ: "ولطلاب العلم عذرهم في الانصراف عن مراجعته؛ إذ كيف يعلم طـــالب العلم أن يوسف في (أ س ف)، وإسرائيل في (س ر ا)، وفيروزا في (ف ر ز)، وأنّى له أن يدرك أن سيدا في (س و د)، وأن السنة - العام - في (س ن ه)، وأن التوراة في (ورى)، وأن السِّنة للنعاس في (و س ن) ... ومثل هذا جد كثير في القاموس، مما ترتب على اعتبار الحروف الأصلية في ترتيب الكلمات وإهمال الحروف الزائدة، ولا يهتدى لمثل هذا إلا المتخصصون في علم الصرف، أو الذين مارسوا اصطلاحه." [1]

خامسها: أن إعادة ترتيب القاموس ستكون ذا فائدة أكثر؛ إذا رُتب على أوائل حروف الكلم، مع إهمال الأصلي والزائد منه؛ لما في ذلك من تسهيل وتسيير على طلاب العربية.

قال الشيخ رحمه الله: "ظهر لي أن القاموس يكون أكثر فائدة لطلاب العلم، ويكون إقبالهم عليه أشد إذا أزيلت عنه هذه الصعوبة، وقدم إليهم في ثوب جديد بحيث يُرتّب على حروف أوائل الكلمات كما درج عليه بعض المؤلفين، واعتبار حروف الكلمة المنطوق بها لا فرق بين زائد وأصلي، وبذلك يسهل عليهم الوصول إلى ما قصدوا إليه في سهولة ويسر." [2]

سادسها: أن إخراج الشيخ القاموس المحيط، أصح ما ألف في اللغة العربية نقلا، وأدقها وضعا، وأوسعها مادة، بترتيب معاصر مُقرِّبٍ يراعي ترتيب الأبواب على أوائل حروف الكلم دون اعتبار الحروف الأصلية وإهمال الحروف الزائدة في ترتيبها يبعث في القاموس حياة جديدة، ويُنشئه نشأة أخرى بين العالِمين والعالَمين.

سابعها: رغبة الشيخ رحمه الله في ترتيب القاموس بعد قناعته بنجاعة عمله المضني الذي مكث فيه زهاء عشرين سنة؛ لأن الصعاب تذللها المعالي، قال: "وقد وجدت في نفسي رغبة في القيام بها، بعد اقتناعي بأنها من أحسن ما يسهل على طلاب العلم الاستفادة من هذا الكتاب القيّم الجليل...وقد لاقيت في ترتيب القاموس عناء مضنيا في مدة تقارب عشرين سنة"[3]

منهجه في ترتيب القاموس

يظهر منهج الشيخ في النقاط الآتية:

أحدها: أنه رتّب القاموس على طريقة أساس الزمخشري، ومصباح الفيومي؛ لأنها أيسر الطرق إلى الكلمة المطلوبة؛ لأن ترتيب الكلمات على أوائل حروفها يُذهب صعوبة التمييز بين أصليها وزائدها، قال: "ولا شك في أن ترتيب الكلمات على الحروف الأوائل منها يقلل كثيرا من صعوبة الاهتمام بالتمييز بين الحروف الزائدة والأصلية، بل تكاد تكون معدومة؛ لذلك رتبته على هذه الطريقة"[4]

ثانيها: أنه جعل الحرف الأول من الكلمة هو الباب، ثم ثنى وثلث بما يليه، وهكذا دواليك، قال: "وجعلت الحرف الأول من الكلمة هو الباب، وبه تبدأ كل مادة في الباب، وثنيت بالثاني، ثم الثالث على ترتيب النطق بها، ولم أفرق بين زائد وأصلي." [5]

ثالثها: أهمل في ترتيبيه (أَلْ) المُعرّفة، واعتبر الحرف الذي يليها هو أول الكلمة، كما أهمل حروف المد الناشئة عن مد الحركة.

وعليه يبحث عن كلمة (القرآن) في باب القاف، و(النبي) في باب النون، و(آدم) في باب الهمزة، وهلم جرا.

رابعها: أن الكلمات التي يصعب على الطالب تخمين موضعها وضَعَها بين حاصرتين (- -) مشيرا إلى موضعها من القاموس، قال: "فمثلا: كلمة (يوسف) ذكرها المؤلف في باب الفاء، فصل الهمزة (أس ف) حسب اصطلاحه، فذكرتها في باب الياء، حيث إن كلمة يوسف أولها يا، وأشرت إلى المادة التي ذكرها فيها المؤلف ليرجع إليها القارئ، هكذا [يوسف] في (أس ف)، ومثل هذا كثير في ترتيب القاموس وكل كلمة وضعت بين هاتين الحاصرتين [] فهي من زياداتي؛ للتنبيه على محلها الذي ذكرها فيه صاحب القاموس"[6].

(1) - الزاوي، ترتيب القاموس (4/1)
(2) - الزاوي، ترتيب القاموس (4/1)
(3) - الزاوي، ترتيب القاموس (6/1)
(4) - الزاوي، ترتيب القاموس (5/1)
(5) - الزاوي، ترتيب القاموس (5/1)
(6) - الزاوي، ترتيب القاموس (5/1)

إضافاته على القاموس

قد يبدو للقارئ للوهلة الأولى أن عمل الشيخ الذي أضنى فيه عشرين عاما مقتصرٌ على ترتيب القاموس فقط، وهو لا شك عمل خطير وجليل، وزاده الشيخ بهاء وروعة بهوامش تصحيحية ونقدية وتعريفية، وتعقيبات لأساطين هذا الفن.

قال الشيخ: "وقد نقلت بعض ما كتب عليه من هوامش تتعلق بتصحيح بعض الكلمات لغويا، أو شرح معانيها معزوة لأصحابها، كما وضعت بعض الهوامش لتصحيح أسماء بعض البلدان أو الأمكنة. أو التعريف بها مذيلة باسمي، وقد اعتمدت على ما نقله بعض المعقبين عليه. وفي مقدمتهم صاحب تاج العروس - في تصحيح بعض أسماء البلدان. وخطأوا فيه المؤلف، فاعتمدت ما ذهبوا إليه بدون التنبيه على رأي المؤلف." [1]

والشيخ بهذا العمل الجليل بعث في القاموس المحيط حياة جديدة بترتيبه المقرب، وحواشيه الكاشفة المفيدة.

وقد رأيت للقاموس المحيط طبعات أخرى غير طبعة الشيخ الشهيرة أخرجته مرتبا على نسق ترتيبه، غير أنها لم تشر إلى عمله المضني لا من قريب ولا من بعيد، بل نسخت جوهرة أعماله القيمة، وسلختها، ومسخت زوائده المفيدة المنيفة، بيد أن أهل التخصص لا تخفى عليهم أضراب مثل هذه الفعائل.

مختار القاموس

ثنى الشيخ الطاهر الزاوي ترتيبه القاموس المحيط، ذلك العمل الضخم الذي كابده عشرين سنة باختصاره القاموس وتهذيبه؛ تيسيرا على غير المتخصصين الشغوفين بالعربية، وتقريبا لمعاني العربية في حلة جديدة يستفيد منها العرب والأعاجم.

من بواعث[2] تأليفه مختار القاموس

ـ الرغبة الملحة التي دفعته إلى تأليف هذا المختار؛ لما له من فائدة لجمهور الباحثين الذي لا يملكون وقتا، فضلا عن آلة تمكنهم من البحث في أمهات المعاجم.

ـ تجريد القاموس الأعظم من غريب الكلم وحوشيه، والاقتصار على المألوف الذي يُحبب العربية إلى جمهور العوام.

ـ اختصار أجزاء القاموس الأربعة إلى جزء واحد يسهل على الطالب استصحابه إلى المدرسة أو الجامعة، أو إلى حيث يريد، فيكون المعجم بين يديه متى شاء، وأين يشاء، وتلك خدمة جليلة في تلك العقود التي تندر فيها الكتب.

منهجه[3] في مختار القاموس

ـ رتّب الشيخ مواد مختار القاموس على طريقة أساس الزمخشري، ومختار الصحاح؛ لأنها أيسر الطرق إلى الكلمة المطلوبة كما تقدم ذكره في ترتيبه القاموس.

ـ اقتصر في اختصاره القاموس على المتعارف في الاستعمال دون حوشي الكلم وغريبها.

ـ حرص على إثبات كل لفظ لها تعلق بشرح آية كريمة، أو حديث نبوي، أو أثر، وعلى ما يتصل بمثل عربي، أو استعمال أدبي، أو ذكر جملة في استعمالها ما تنشرح له نفس القارئ.

ـ استغنى عن كثير من الألفاظ التي لم يألفها المجتمع العربي، أو عفا عليها الزمن، ولا تدعو آية أو حديث أو مثل إلى إثباتها، فصارت من الغريب المهجور.

ـ حذف أسماء الأشخاص، والبلدان، والأماكن، والحيوانات وصفاتها، مما ألفت فيه معاجم خاصة للبحث عنه فيها.

ـ ضبط الأسماء والأفعال المختارة؛ لاستغنائه عن اصطلاح صاحب القاموس فيها، الذي لا يفهمه إلا الشداة المتخصصون.

(1) ـ الزاوي، ترتيب القاموس (6/1)
(2) ـ ينظر: الزاوي، مختار القاموس (ص: 1)
(3) ـ ينظر: الزاوي، مختار القاموس (ص: 2،1)

ـ اعتبر الهمزة الممدودة كما هي، فكلمة آل ـ مثلا ـ كتبها هكذا «آل» آل إليه أولا، الخ.

ـ جعل علامة الجمع حرف جيم هكذا ج.

ـ ومع تقديمه القاموس في قالب عصري إلا أنه حافظ على عبارة القاموس؛ ليحتفظ المختار بقوة أصله القاموس، ومتانته.

إضافاته[1] على القاموس في مختار القاموس

ـ أضاف بعض كلمات استدركت على القاموس، وجعلها بين حاصرتين هكذا [ ]

ـ أضاف بعض التعليقات معزوة إلى أصحابها؛ لما فيها من الفائدة، والتوثيق.

ـ وضع حركة عين المضارع الذي لم يتعرض صاحب القاموس لضبطه على شرطه.

الخاتمة

ـ علماء البلاد الليبية ساهموا في مسيرة الركب الحضاري الخالدة في حفظ لغة القرآن الكريم في جل الفنون والقرون، من لدن دخول الفاتحين شمال إفريقيا وليبيا ولا زالوا كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ـ يغلب على الظن أن المغمورين في هذا المجال أكثر من المذكورين في كتب التراجم والسير والرحلات؛ لأن هذه البقعة لم تحظ بكثرة وافرة تهتم بحفظ إنتاج علماء البلاد الليبية العلمي.

ـ لعل بعد البلاد الليبية عن حاضرة العالم الإسلامي في مصر والشام في القرون الماضية يعُزى إليه قلة المدون من مآثرها العلمية.

ـ من يتصفح الكتب التي خُصصت للحديث عن علماء ليبيا ـ مع قلتها ـ يتفاجأ بهذه الثلة العظيمة الفخمة التي حافظت على ميراث الأمة اللغوي والشرعي.

ـ من علامة نبوغ أهل البلد في العلوم الشريفة أن جمعا ممن طلبوا العلوم في الأزهر والزيتونة بز أقرانه، وأشير إليه بالبنان، من أمثال الحطاب وحلولو وابن منظور، والطاهر الزاوي ومصطفى التريكي، في جمع كريم يطول عدهم وعديدهم.

ـ يلاحظ في مسميات فنون اللغة المذكورة في البحث أنها من جنس ما يتفاخر به المشارقة والمغاربة في العلوم، وهذه منقبة أي منقبة لعلماء اللغة الليبيين.

ـ من مصنفات علماء البلاد الليبية السائرة: لسان العرب، ومواهب الجليل، وكفاية المتحفظ، ومنح الجليل، والضياء اللامع، وترتيب القاموس ومختاره.

ـ اقتصر البحث على ذكر المصنفات اللغوية التي تفرد بها علماء ليبيا الكرام، وسارت بها الركبان، وما ذُكر فيه غيضٌ من فيضٍ يحتاج إلى استقراء ومطالعة.

ـ لعل ما ذُكر من المصنفات الفريدة فيه دلالة واضحة على إسهام علماء البلاد الليبية في مسيرة العلم والتأليف، وإن غمضهم الإعلام، وتغافل عنهم ذوو الشأن.

ـ المصنفات المذكورة سُلك في بيانها الإيجاز والتوسط والإطناب؛ طلباً للتنويع وتنويها بأهل هذا الشأن.

(1) ـ ينظر: الزاوي، مختار القاموس (ص: 2)

فهرس المصادر والمراجع

1. الأنصاري، أحمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، د.ت.ط.
2. الأنصاري، أحمد بن عبدالرحمن، نفحة النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تحقيق محمد زينهم، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.
3. ابن حجر، أحمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد، الهند، ط/2، 1392هـ - 1972م
4. ابن الخُوَيِّيّ، نظم كفاية المتحفظ، تحقيق عبدالحميد الدرويش، دار النوادر، لبنان، ط/1، 1435ه.
5. ابن قارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
6. ابن الطيب الفاسي، تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، دار العلوم ، الرياض، ط/1، 1403هـ، 1983 م.
7. ابن عبدالبر، أبوعمر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/1، 1412 هـ - 1992 م.
8. التجاني، محمد، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، د.ط.ت.
9. التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبدالحميد الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط/2، 2000م.
10. التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف، الرباط، ط/1، 1420هـ، 2000م.
11. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/1، 1414هـ - 1993 م
12. الزاوي، الطاهر، ترتيب القاموس المحيط، دار الفكر، ليبيا، د.ت.ط.
13. الزاوي، الطاهر، أعلام ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/3، 2004م.
14. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط/15، 2002 م
15. الصفدي، صلاح الدين، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط/1، 1418 هـ - 1998 م
16. الصفدي، صلاح الدين، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1428 هـ - 2007 م.
17. https://n9.cl/n3mgf ، https://n9.cl/v9bpe ظ https://www.alnssabon.com/t33332.html